١ ـ أزواج معاوية بن أبي سفيان

هو «معاوية بن أبي سفيان» «صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب» وأمه «هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب»، وكنيته «أبو عبد الرحمٰن».

أسلم مع أبيه يوم فتح مكة ـ حرسها الله تعالى ـ وأسلمت أمه وبايعت مع عدة من النساء، وقد ذكر «ابن عساكر» في «أعلام النساء»، عن حميد بن منهب، قال: كانت «هند بنت عتبة» تحت «الفاكه بن المغيرة» المخزومي، وكان «الفاكه» من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس عن غير إذن، فخلا ذلك البيت يوماً، فاضطجع «الفاكه» و«هند» في وقت القائلة، ثم خرج «الفاكه» لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشاه، فولج البيت، فلما رأى المرأة ولى هارباً، وأبصره «الفاكه» وهو خارج من البيت، فأقبل إلى «هند» فضربها برجله، وقال: من هذا الذي كان عندك؟

قالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت حتى أنبهتني، قال لها: الحقي بأبيك، وتكلم فيها الناس، فقال لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقاً، دسستُ إليه من يقتله، فينقطع عنك القالة، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفتْ له بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها.

فقال «عتبة» للفاكه: يا هذا! إنك قد رميتَ ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

فخرج «الفاكه» في جماعة من بني مخزوم، وخرج «عتبة» في جماعة من بني عبد مناف، وخرجوا معهم بهند ونسوة معهم، فلما شارفوا البلاد قالوا: غداً نَرِدُ على الكاهن، تنكرت حال «هند»، وتغيَّر وجهها، فقال لها أبوها: إنه قد رأى ما

بك من تنكر الحال، وما ذاك عندك إلَّا لمكروه، فألا كان هذا قبل أن يشتهر للناس مسيرنا؟ قالت: والله! يا أبتاه ما ذاكَ لمكروه، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب، ولا آمنه أن يَسِمَني ميسماً يكون عليَّ سبةً في العرب.

قال: إني سوف أختبره قبل أن ينظر في أمرك، فصفَّر لفرسه حتى أدلى، ثم أخذ حبة من حنطة، فأدخلها في إحليله، وأوكأ عليها بِسَيْر ـ قطعة جلد ـ.

فلما وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم، فلما قعدوا، قال له «عتبة»: إنا قد جئناك في أمر، وإني قد خبأت لك خَبْأً أختبرك به، فانظر ما هو؟

قال: ثمرة في كمرة، قال: أريد أبين من هذا، قال: حبة من بُرٍّ، في إحليل مهر، قال: صدقتَ، انظر في أمر هؤلاء النسوة.

فجعل يدنو من إحداهن، فيضرب كتفها، ويقول: انهضي، حتى دنا من «هند» فضرب كتفها، قال: انهضي غير رسحاء، ولا زانية، ولتلِدِنَّ ملكاً يقال له «معاوية»، فوثب إليها «الفاكه»، فأخذ بيدها، فنثرت يدها من يده، وقالت: إليك، فوالله! لأحْرِصَنَّ على أن يكون ذاك من غيرك، فتزوجها «أبو سفيان» فجاءت بمعاوية.

ولما أسلم «أبو سفيان» كَلَّم «هنداً» في متابعته، فأبت، ثم رجعت إلى الصواب، عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن هشام، عن عروة عن أبيه، قال: قالت «هند» لأبي سفيان: إني أريد أن أتابع «محمداً»، قال: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس، قالت: إني والله والله! ما رأيت الله عُبِدَ حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله! إن يأتوا إلَّا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً.

قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك، فذهبت إلى «عثمان» فذهب معها، فاستأذن لها، ودخلت وهي منَقِّبة، فقال: «**تبايعيني على ألَّا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني**»، فقالت: أو هل تزني الحرة؟ قال: «**لا، ولا تقتلي ولدك**» فقالت: إنا ربيناهم صغاراً، وقتلتهم كباراً، قال: «**قتلهم الله، يا هند!**».

فلما فَرَغَ من الآية بايعته، فقالت: يا رسول الله! إني بايعتك على ألَّا أسرق، ولا أزني، وإن أبا سفيان رجل بخيل، ولا يعطيني ما يكفيني إلَّا ما أخذتُ منه من غير علمه، قال: «**ما تقول يا أبا سفيان!؟**» فقال «أبو سفيان»: أما يابساً فلا، وأما رطباً فأحله، قال: فحدثتني «عائشة» أن رسول الله ﷺ قال لها: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[١].

وتحققت نبوءة الكاهن، ووضعت «هند» لأبي سفيان ولده «معاوية»، وذات مرة كانت تمشي وهي ممسكة بيد ولدها، فقيل لها: إن عاش ولدك ساد قومه، فقالت: ثكلته إن لم يسد إلَّا قومه.

ولما كبر «معاوية» قال عن أمه «هند»: إنها في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخِيَر.

وشهدت يوم أحد، مع زوجها «أبي سفيان» وهما ـ يومئذ ـ مشركان، ووعدت «وحشي بن حرب» إن قتل لها «حمزة بن عبد المطلب» رضي الله عنه، بأبيها «عتبة» وعمها «شيبة» وأخيها «الوليد»، بجائزة قيمة، ولما تمكَّن من قتله، وأخبرها بذلك نزعت حَلْيَ ساعديها وقدميها، وأعطتها إليه، ثم انطلقت بخنجرها، وبقرت بطن «حمزة» واستخرجت كبده، فقضمت قضمة ولاكتها إلَّا أنها لم تُسِغْها فلفظتها، وكان أهلها قد صرعوا يوم بدر مع نفر من زعماء قريش، وأكابر سفهائها.

وكانت «هند» قد ملكت ناصية الفصاحة والبيان، وكانت شاعرة، ومن أقوالها:

شفيتُ من حمزة نفسي بأحدْ ... حتى بقرتُ بطنه على الكبدْ
أذهب عني ذاك ما كنتُ أجدْ ... من لدغة الحزن الشديد المعتمدْ

وقالت أيضاً:

نحن جزيناكم بيوم بدرِ ... والحرب بعد الحرب ذات سُعُرِ
ما كان عن عتبة لي من صبرِ ... ولا أخي وعمه وبكرِي

(١) أعلام النساء لابن عساكر، ص: ٣٥٢ ـ ٣٥٧ ط. دار الفكر.

شفيتُ نفسيَ ومضيتُ نذري شفِيتَ وحشي غليل صَدْرِيَ
فشكر وحشي عليَّ عُمْرِي حتى تَرِمَّ أعظمي في قَبْرِي

ولكن الشاعرة المؤمنة «هند بنت أُثاثة» تصدَّت لها، وردَّت عليها، فقالت:

خزيتِ في بدرٍ وبعد بدرِ يا بنتَ وَقَّاع عظيم الكفرِ
صبَّحَكِ الله غداة الفجرِ مع الهاشميين الطوال الزُّهرِ
بكل قطَّاع حُسَام يَفْرِي حمزةُ ليثي وعليٌّ صقرِي
إذا رام ثَيْبٌ وأبوكِ غدري فخضَّبا منه ضواحي النَّحْرِ

ولما كان الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولذا صفح رسول الله ﷺ عن الجريمة النكراء التي ارتكبتها «هند» بحق عمه «حمزة»، وإذ إنها بعد مبايعتها لرسول الله ﷺ حسرت نقابها وقالت: أنا «هند بنت عتبة» فقال لها رسول الله ﷺ «مرحباً بك»، فقالت: والله يا رسول الله! ما كان على الأرض من أهل خِباء أحب إليَّ أن يذلُّوا من أهلِ خبائك، ولقد أصبحت وما على وجه الأرض من أهل خِباء أحب إليَّ أن يعزُّوا من أهل خبائك، فما أعظم الإسلام وما أعز أهله! ومن يبتغ غيره ديناً فهو في الآخرة من الخاسرين.

وكان «معاوية» مضرب المثل في الحلم والدهاء، وقد لَخَّصَ نهجه في الحكم بالعبارة الشهيرة التي قالها: لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت، فإذا شدوها أرخيتُها، وإذا أرخوها شددتُها.

وبعد مصرع «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه وتنازل ابنه «الحسن بن علي» رضي الله عنهما لمعاوية، أمكن لمعاوية رضي الله عنه التخلص من خصومه الواحد تِلْوَ الآخر، وتوطيد دعائم ملكه، ثم طمح لعقد ولاية العهد لولده «يزيد بن معاوية» إلا أن هذه الرغبة كان لها معارضون لا يستهان بقدراتهم.

وقد أخرج «ابن جرير الطبري» في تاريخه، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة؛ أن «معاوية» لما مرض مرضَته التي هلك فيها دعا «يزيد» ابنه، فقال: يا بني! إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطَّأتُ لك الأشياء، وذلَّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناق العرب، وجمعتُ لك من جمعٍ واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك

هذا الأمر الذي استتبَّ لك إلَّا أربعة نفر من قريش، «الحسين بن علي»، و«عبد الله بن عمر»، و«عبد الله بن الزبير»، و«عبد الرحمٰن بن أبي بكر».

فأما «عبد الله بن عمر» فرجلٌ قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما «الحسين بن علي» فإن أهل العراق لن يَدَعُوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرتَ به، فاصفح عنه، فإن له رَحِماً ماسَّة، وحقاً عظيماً.

وأما «ابن أبي بكر» فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو.

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك «ابن الزبير»، فإن هو فعلها بك فَقَدَرْتَ عليه، فقطِّعه إرباً إرباً.

قال هشام: قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن «معاوية» لما حضره الموت ـ وذلك في سنة ستين ـ وكان «يزيد» غائباً، فدعا بالضحَّاك بن قيس الفهري ـ وكان صاحب شرطته ـ و«مسلم بن عقبة المري»، فأوصى إليهما، فقال: بَلِّغا «يزيد» وصيتي، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عَزْل عامل أحب إليَّ من أن تُشْهِرَ عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعَيْبَتَك، فإنْ نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخاف من قريش إلَّا ثلاثة: «حسين بن علي»، و«عبد الله بن عمر»، و«عبد الله بن الزبير».

فأما «ابن عمر» فرجل قد وَقَذَه الدِّين، فليس ملتمساً شيئاً قِبَلَكَ.

وأما «الحسين بن علي» فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رَحِماً ماسَّةً وحقاً عظيماً، وقرابةً من «محمد» ﷺ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه.

وأما «ابن الزبير» فإنه خَبٌّ ضَبٌّ، فإذا شخص لك فالْبُدْ له، إلَّا أن يلتمس

منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت[١].

وقال الإمام «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: ثم حَجَّ «معاوية» سنة إحدى وخمسين، وأخذ البيعة لابنه، فبعث إلى «ابن عمر» فتشهد وقال: أما بعد، يابن عمر! إنك كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء، ليس عليك فيها أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين أو تسعى في فساد ذات بينهم.

فحمِدَ «ابن عمر» الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، ولم أكن لأفعل، وإنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم، فقال: يرحمك الله! فخرج «ابن عمر».

ثم أرسل إلى «ابن أبي بكر»، فتشهد، ثم أخذ في الكلام فقطع عليه كلامه، وقال: إنك لوددتَ أنا وَكَلْنَاك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله! لتردَّنَّ هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنُعيدَنّها عليك جَذَعة، ثم وثب ومضى.

فقال «معاوية»: اللهم! اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رِسْلِكَ، أيها الرجل لا تُشْرِفَنَّ على أهل الشام، فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أُخْبَرَ العشية أنك قد بايعتَ، ثم كن بعدُ على ما بدا لك من أمرك.

ثم أرسل إلى «ابن الزبير»، فقال: يابن الزبير! إنما أنت ثعلب روَّاغ، كلما خرج من حُجْر دخل في آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين، فنفخت في مناخرهما، وحملتهما على غير رأيهما.

فقال «ابن الزبير»: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها، وهَلُمَّ ابنك فلنبايعه، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع ونطيع؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً، ثم راح فصَعِدَ «معاوية» المنبر، فحمِد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عَوَار، زعموا أن «ابن عمر» و«ابن أبي بكر» و«ابن الزبير» لن يبايعوا

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٣).

«يزيد»، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له، فقال أهل الشام: والله! لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤوس الأشهاد، وإلَّا ضربنا أعناقهم، فقال: سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم، ثم نزل فقال للناس: بايع «ابن عمر» و«ابن أبي بكر» و«ابن الزبير»، وهم يقولون: لا والله! ما بايعنا، فيقول الناس: بلى، وارتحل «معاوية» فلحق بالشام.

وعن «ابن المنكدر»: قال: قال «ابن عمر» حين بويع «يزيد»: إن كان خيراً رضينا، وإن كان بلاء صبرنا[1].

وكان «معاوية» إلى حلمه ودهائه بليغاً فصيحاً يزن الكلام بدقة تبدي عن حسن فهم، ويجزي على القول البديع بموفور الجزاء.

فقد جاء في «الطيوريات» عن سليمان المخزومي، قال: أذن «معاوية» للناس إذناً عاماً، فلما احتفل المجلس، قال: أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت قائم بمعناه، فسكتوا، ثم طلع «عبد الله بن الزبير»، فقال: هذا مِقْوالُ العرب وعَلَّامتها «أبو خُبَيْب»، قال: مَهْيَمْ؟

قال: أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب، كل بيت قائم بمعناه، قال: بثلاثمائة ألف، قال: وتساوي؟ قال: أنت بالخيار، وأنت وافٍ كافٍ، قال: هات، فأنشده للأفوه الأودي، قال:

بلوتُ الناس قَرْناً بعد قَرْن ... فلم أر غير خَتَّالٍ وقالِ

قال: صدق هيه، قال:

ولم أرقي الخطوب أشَدَّ وقعاً ... وأصعب من معاداة الرجالِ

قال: صدق هيه، قال:

وذُقتُ مرارة الأشياء طراً ... فما طعمٌ أمرَّ من السؤالِ

قال: صدق ثم أمر له بثلاثمائة ألف.

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٤.

وأخرج ابن عساكر، عن حميد بن هلال أن «عقيل بن أبي طالب» سأل «علياً» فقال: إني محتاج وإني فقير فأعطني، فقال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم، فألحَّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دق هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لآتين «معاوية»، قال: أنت وذاك، فأتى «معاوية» فسأله، فأعطاه مائة ألف، ثم قال: اصعد على المنبر، فاذكر ما أولاك به «علي» وما أوليتك، فصَعِدَ، فَحَمِدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إني أخبركم أني أردت «علياً» على دينه، فاختار دينه، وإني أردت «معاوية» على دينه، فاختارني على دينه[1].

وفي شهر رجب سنة (٦٠ هـ) مات «معاوية» رحمه الله تعالى، فصَعِدَ المنبر «الضحاك بن قيس» وأكفان «معاوية» على يديه، فحَمِدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن «معاوية» كان عود العرب، وحد العرب، وجد العرب، قطع الله به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح البلاد، إلا أنه قد مات، وهذه أكفانه، ونحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلُّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، ولما وصل الخبر إلى ابنه «يزيد»، قال:

جاء البريد بقرطاسٍ يخُبُّ به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم؟ ... قالوا الخليفة أمسى مُثْبَتاً وجِعا
ثم انبعثنا إلى خوصٍ مرَمَّمةٍ ... نرمي الفجاج بها لا نأتلي سرعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كان أغبر من أركانها انقطعا
من لم تزل نفسهُ توفي على شَرَفٍ ... توشكْ مقاليد تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وباب الدارُ منصَفِقٌ ... وصوت رملة ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيئاً بعد طيرته ... والنفس تعلم أنه قد أثبتت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه ... كانا جميعاً فماتا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٩ ـ ١٨٠.

وكان «يزيد» حين وفاة «معاوية» بحُوَّارين، فكتبوا إلى «يزيد»، فأقبل وقد دُفِنَ، فأتى قبره فصلى عليه، ودعا له، ثم أتى منزله، فقال الأبيات السابقة.

وجاء في سيرته: أنه تزوج أربع نسوة، هن:

ـ ميسون بنت بَحْدَل.

ـ فاختة بنت قرظة.

ـ نائلة بنت عمارة الكلبية.

ـ كتوة بنت قرظة.

وذكر «أبو جعفر الطبري» في تاريخه نساء «معاوية» وولده، فقال:

ـ من نسائه: «ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف بن وَلجة بن مَنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبي، ولدت له: «يزيد بن معاوية»، قال علي: ولدت «ميسون» لمعاوية مع «يزيد» أمَة ـ رب المشارق ـ فماتت صغيرة، ولم يذكرها «هشام» في أولاد «معاوية».

ـ ومنهن «فاختة بْنَة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف»، ولدت له: «عبد الرحمٰن» و«عبد الله» ابني «معاوية».

وكان «عبد الله» محمقاً ضعيفاً، وكان يكنَّى «أبا الخير»، حدثني أحمد، عن علي بن محمد، قال: مَرَّ «عبد الله بن معاوية» يوماً بطحَّان، قد شدَّ بغله في الرحمٰن للطحن، وجعل في عنقه جَلاَجل ـ أجراس جمع جُلْجُل ـ، فقال له: لم جعلت في عنق بغلك هذه الجلاجل؟ فقال الطحان: جعلتُها في عنقه لأعلم إن قد قام فلم تدر الرحى، فقال له: أرأيت إن هو قام وحَرَّك رأسه، كيف تعلم أنه لا يدير الرحى؟ فقال له الطحان: إن بغلي هذا ـ أصلح الله الأمير ـ ليس له عقل مثل عقل الأمير! وأما «عبد الرحمٰن» فإنه مات صغيراً.

ـ ومنهن «نائلة بنت عمارة الكلبية» تزوَّجها، فحدثني أحمد، عن علي، قال: لما تزوج «معاوية» «نائلة» قال لميسون: انطلقي فانظري إلى ابنة عمك، فنظرت إليها، فقال: كيف رأيتها؟ فقالت: جميلة كاملة، ولكن رأيت تحت سرتها

خالاً ليوضعن رأس زوجها في حَجْرها، فطلقها «معاوية»، فتزوجها «حبيب بن مسلمة الفهري»، ثم خلف بعد «حبيب»، «النعمان بن بشير الأنصاري» فقتل، ووُضِع رأسه في حَجْرها.

ـ ومنهن «كَتْوَة» بنت قرظة» أخت «فاختة»، فغزا قبرص، وهي معه، فماتت هنالك[١].

وأخرج «ابن عساكر» في كتابه «أعلام النساء» في ترجمة «ميسون بنت بَحْدَل»، قال: هي «ميسون بنت بَحْدل بن أُنَيْف بن دُلْجَة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب بن امرىء القيس بن حارثة»، ويقال: «ابن زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كاسب» الكلبية، زوج «معاوية بن أبي سفيان» وأم «يزيد بن معاوية» روت عن «معاوية»، روى عنها «محمد بن علي» وكانت امرأة لبيبة. بلغني أن «معاوية» دخل عليها، ومعه «حديج الخصي»، فاستترت منه، فقال لها «معاوية»: «إن هذا بمنزلة المرأة، فعلام تستترين منه؟ فقالت له: كأنك ترى أن المُثْلَة أحلَّت له مني ما حرم الله عليه.

عن «ميسون بنت بَحْدَل» امرأة «معاوية»، عن «معاوية» أن النبي ﷺ قال: **«سيكون قوم ينالهم الإخصاء فاستوصوا بهم خيراً»**.

عن عبيد الله بن سعد الزهري، عن عمه قال: أم «يزيد بن معاوية»، «ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف بن دُلْجة بن قنافة بن زهير بن حارثة بن جناب» وأمها «أسدة بنت أسيد بن ثعلبة بن سويد بن إسحاق بن حارثة بن هبل» وأمها «ابنة صامت بن قيس بن حارثة بن مبذول بن القين» كذا قال، و«قنافة» هو «ابن عدي بن زهير» كذلك قال «الزبير».

وعن محمد بن سعد، قال: «ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف بن دُلْجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب بن ذهل بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٩).

وعن أبي الحسن الدارقطني، قال: وأما «ميسون» فهي «ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف» الكلبية، أم «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان».

قال «أبو بكر بن دريد» تزوج «معاوية بن أبي سفيان»، «ميسون بنت بَحْدَل» الكلبية، أم «يزيد» فبقيت عنده مديدة، فسئمته، فأنشأت تقول وحنّت إلى وطنها:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إليَّ من قصر منيفِ
وكلب ينبح الطُّرَّاق عني ... أحب إليَّ من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب ... أحب إلي من بغل زفوفِ
ولُبْسُ عباءة وتقر عيني ... أحب إليَّ من لبس الشفوفِ
وخرق من بني عمي نحيف ... أحب إليَّ من علج عَليفِ
وأصوات الرياح بكل فجٍّ ... أحب إليَّ من نقر الدفوفِ
خشونة عيشتي في البدو أشهى ... إلى نفسي من العيش الطريفِ
فما أبغي سوى وطني بديلاً ... فحبي ذاك من وطن شريفِ

فقال «معاوية»: جعلتني علجاً، وطلّقها وألحقها بأهلها[1].

ومن الأخبار الدالة على فضل رأي «معاوية بن أبي سفيان» وحلمه، أن أخته «جويرية بنت أبي سفيان» دخلت عليه، تشكو إليه الأرق، فقال: ولِمَ ذاك يا أخته! قالت: وايم الله!؟ إنه لمن غير ألم، وما هو إلا تفكر فيك وفي «علي بن أبي طالب» وتفضيل الناس «علياً» عليك، وأنت «ابن صخر بن حرب بن أمية»، وكان أمية ابن قريش لنابُها ـ أي: زعيمها ـ، الذي تقضي عنده آرابها، وأنت «ابن صخر بن حرب بن أمية» القائل الفاعل، ابن ماء المزن الحُلاحِل ـ أي: السيد الشجاع ـ، وأنت بعد ذلك كاتب رسول الله ﷺ، وذو صهره من أمته، ونجيبه من عترته.

فقال لها «معاوية»: فعلى «عليٍّ» تعولين بالشرف، وهو ابن «عبد المطلب»، المطعم في الكرب، الفراج للكرب، مع ما كان له من الفواضل والسوابق مع رسول الله ﷺ، أما إني سأريك التي حاولت وحاولت، حتى تعلمي فضل رأيي

(١) أعلام النساء لابن عساكر (٣٣٣ ـ ٣٣٥) ط. دار الفكر.

وحلمي، فادخلي القبة، وأرخي عليك السِّجْفَ، ثم قال لآذنه: انظر من بالباب، فإذا هو بأربعة من بني تميم: «الأحنف بن قيس» و«زيد بن جُلَبة» و«جارية بن قدامة» و«سماك بن مَخْرَمة»، فقال: إيذن للأحنف بن قيس، فدخل وقضى سلامه، فقال: إيهاً يا حنيفَ بُنَيَّ قيس! قال: مهلاً، يا أمير المؤمنين! بل «الأحنف بن قيس».

قال: أأنت المطلع غدراً، الناظر في عطفيه شزراً، تحمل قومك على مُدْلَهِمَّات الفتن، وتذكرهم بقديمات الإحن، مع قتلك أمير المؤمنين «عثمان» وخذلانك أم المؤمنين «عائشة» وورودك عليَّ بالخيل يوم «صِفِّين»؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين! إن منه ما أعرف، ومنه ما أنكر، فأما قولك: قتل أمير المؤمنين، فأنتم معشر قريش نحرتم وَدَجَه ـ عرق في العنق إذا قطع انتهت الحياة، وهو ينتفخ عند الغضب ـ، وسقيتم الأرض دمه.

وأما قولك: خذلاني أم المؤمنين «عائشة» فإني نظرتُ في كتاب الله، فلم أَرَ لها عليَّ حقاً إلَّا أن تقرَّ في بيتها وتستتر بسترها، فلما برزت عطَّلت ما كان لها عليَّ من حق، وأما قولك: ورودي عليك بالخيل يوم «صِفِّين»، حين أردت أن تقطع أعناقهم عطشاً، وتقتلهم غَرَثاً ـ جوعاً ـ، وايم الله! لو أحد الأعجمين غلب كانوا أنكى شوكة وأشد كلباً، قال: اخرج عني.

ثم قال: إيذنوا لزيد بن جُلَبَة، فدخل وقضى سلامه، فقال: إيهاً يا زيدُ بَنَيَّ جُلَيْبَة! قال: مهلاً، يا أمير المؤمنين! بل «زيد بن جُلَبَة» يا أمير المؤمنين!.

إنا فرزنا قريشاً كلها، فوجدناك آمنها عهداً، وأوفاها عقداً، فإن تَفِ فأهل الوفاء أنت، وإن تغدِرْ، فإنا خلَّفْنا خَلْفنا خيلاً جياداً، وأذرعة شداداً، وأسنَّةً حداداً، وإن شئت لَتُصْفِيَنَّ روعة صدورها بفضل رأيك وحلمك، قال: إذن نفعل، قال: إذن نقبل، قال: اخرج عني.

ثم قال: إيذن لجارية بن قدامة، فدخل وقضى سلامه، فقال له: إيهاً يا جويرية بُنَيَّ قدامة! قال: مهلاً يا أمير المؤمنين! بل «جارية بن قدامة» يا أمير المؤمنين! إنا كنا نُصَّار حرب يوم الفجار، حين حزتم الغبار، وهَمَّت قريش بالفرار، فقال له: مَهْ، لا أرضى لك، أنت الذي قريتَ أهل الشام ظباة السيوف

وأطراف الرماح، قال: إي والله يا أمير المؤمنين! إني لأنا هو، ولو كنتَ بالمكان الذي كان فيه أهل الشام لقريتُك بمثل ما قريتهم به، قال: فحاجتك يا أبا فندش؟ قال: أما إنها إليك غير طويلة، تقر الناس في بيوتهم، فلا توفدهم إليك، إنما يوفد إليك الأغنياء وتذرون الفقراء.

قال: إيذن لسماك بن مَخْرَمة، فدخل وقضى سلامه، فقال: إيهاً، يا سُمَيْكُ بُنَيَّ مَخْرَمة! قال: مهلاً، يا أمير المؤمنين! بل «سماك بن مَخْرَمة»، والله! يا أمير المؤمنين! ما أحببناك منذ أبغضناك، ولا أبغضنا «علياً» منذ أحببناه، وإن السيوف التي ضربناك بها لعلى عواتقنا، وإن القلوب التي قاتلناك بها لبين جوانحنا، ولئن قدَّمت إلينا شبراً من غَدْر، لَنُقَدِّمَنَّ إليك باعاً من خَتْر ـ أقبح العذر ـ قال: اخرج عني.

ثم قال لأخته: الذي عانيت من قبيلة واحدة، فماذا رأيت؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين! لقد ضاق بي مجلسي حتى أردت أن أكلمهم لما كلموك به، قال: إذاً والله! كانوا إليكِ أسرع، وعليك أجرأ هم العرب لا تُفِرُّوها[١].

وكان «عمر بن الخطاب» متابعاً شديداً لعماله عياناً أو كتابة، فقد روى «أبو جعفر الطبري» في تاريخه: حدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: حدثنا أبو محمد الأموي، قال: خرج «عمر بن الخطاب» إلى الشام، فرأى «معاوية» في موكبٍ يتلقّاه، وراح إليه في موكب.

فقال له «عمر»: يا معاوية! تروح في موكب، وتغدو في مثلِه؛ وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك!

قال: يا أمير المؤمنين! إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً.

فقال له «عمر»: إن هذا لكيد رجل لبيب، أو خُدْعة رجل أريب، فقال «معاوية»: يا أمير المؤمنين! مُرْني بما شئت أَصِرْ إليه، قال: ويحك! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك![٢].

وروى «السيوطي» عن ابن عساكر، عن الشعبي، قال: دهاة العرب أربعة:

---

(١) أعلام النساء لابن عساكر، ص: ١٢٩ ـ ١٣٢.
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣١).

«معاوية» و«عمرو بن العاص» و«المغيرة بن شعبة» و«زياد»، فأما «معاوية» فللحلم والأناة، وأما «عمرو» فللمعضلات، وأما «المغيرة» فللمبادهة، وأما «زياد» فللكبير والصغير.

وأخرج أيضاً عنه، قال: كان القضاة أربعة، والدهاة أربعة، فأما القضاة: فعمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأما الدهاة: فمعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد.

وأخرج عن قبيصة وجابر، قال: صحبت «عمر بن الخطاب» فما رأيت أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله منه، وصحبت «طلحة بن عبيد الله» فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه، وصحبت «معاوية» فما رأيت رجلاً أثقل حلماً، ولا أبطأ جهلاً، ولا أبعد أناة منه، وصحبت «عمرو بن العاص» فما رأيت رجلاً أنصع طرفاً، ولا أحلم جليساً منه، وصحبت «المغيرة بن شعبة»، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها كلها.

وأخرج ابن عساكر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن عقيلاً دخل على «معاوية» فقال «معاوية»: هذا «عقيل» وعمه «أبو لهب»، فقال «عقيل»: هذا «معاوية» وعمته «حمالة الحطب».

وكان «معاوية» أول من أحدث ديوان الخاتم، قال ابن جرير الطبري في تاريخه: وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم، قال: وكان سبب ذلك أن «معاوية» أمر لعمرو بن الزبير في معونته وقضاء دينه بمائة ألف درهم، وكتب بذلك إلى «زياد بن سمية» وهو على الطرق، ففضَّ «عمرو» الكتاب و«صَيَّر المائة مائتين».

فلما رفع «زياد» حسابه، أنكرها «معاوية»، فأخذ «عَمْراً» وحبسه، فأداها عنه أخوه «عبد الله بن الزبير»، فأحدث «معاوية» عند ذلك ديوان الخاتم، وخزم الكتب، ولم تكن تخزم.

وعن جعفر بن بُرْقان، أن «المغيرة» كتب إلى «معاوية»: أما بعد، فإني قد كبرت سني، ودقَّ عظمي، وشَنِفَت لي قريش ـ أي: أبغضتني ـ، فإن رأيت أن تعزلني فاعزلني.

فكتب إليه «معاوية»: جاءني كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنك، فلعمري ما أكل عمرَك غيرُك، وتذكُرُ أن قريشاً شَنِفَت لك، ولعمري ما أصبتَ خيراً إلا منهم، وتسألني أن أعزلك، فقد فعلت، فإن تك صادقاً فقد شفَّعتُك، وإن تك مخادعاً، فقد خدعتُك[١].

وعن سيد المقبري، قال «عمر بن الخطاب» ﷺ: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما، وعندكم «معاوية»! رحمه الله تعالى.

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

obeikandl.com